

٤ . على ضفاف القناة :

وجوه كالحة *

للاستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

هزيمة الجسوم ، جائزة البطون ، عارية الأبدان ، وهو لهذا لا يابه
عن أمامه من المصريين ، ولا يبالي بما يأتي من جرائم ، ويقتل
من أرواح ، فقلما يخلو يوم من حوادث السيارات الإنجليزية التي
تجوب المدينة على الدوام ، وبلا انقطاع ، والتي تقف أمام دور
السينما والحلات العامة وفي الحدائق ، وتزدحم بها الشوارع في
كل مكان ، والتي يذهب نخبة إهمال سائقها المتهورين كثير من
المصريين الأبرياء . . وماذا يضيره مادام يخرج دأما هو وأمثاله
المجرمون بسلام ، ولا تنال منهم سطوة القانون المصري شيئا ،
لأن الإنجليزي لا يزال في هذه البلاد عنوان السيادة الذي يخضع
له الجميع . . وقاتل الله الإنجليزي ، فإنهم لا يزالون يعيشون في
أواخر القرن العشرين بعقيلة القرون الوسطى ، ولا يزالون
يؤمنون إيماناً عميقاً بحياة الدس والفرقة بين مختلف الطوائف
وقادة الشعوب ، وزعماء البلاد ، ولا يكاد يستجيب لهم ، ويحقق
أمانهم غير المصريين من الذين لا يعيشون لبلادهم ، وإنما يعيشون
لتحقيق أغراضهم ، ومصالحهم الذاتية . . ولكن الإنجليزي في
هذه المرة لن يصلوا إلى ما يصبون إليه ، وسيفوت عليهم الوعى
الجديد للشعب المصري أغراضهم السافلة ، ويحطم آمالهم
الاستعمارية الوضيعة ، ويكشف حيلهم الدنيئة ، ويهمل عليهم
الفشل القريع ، والحظ المتكود . . !!

o o o

أجل فالوعى القومي بين طبقات الشعب قد ارتفع مستواه ،
ونأمل أن يؤتى ثماره الياقة في القريب الماجل إن شاء الله .
وإنه لن الظلم أن تظل هذه الجنود تتمتع بالأحياء الجليلة النظيفة
في المدينة وتستغفد خير الأطعمة ، وتستولى على جميع ما تصل
إليه من طيبات الرزق ، بينما يحرم من هذا كله أهل المدينة
والقاطنون فيها ، فتتلفى نفوسهم غيظا ، وتتميز كذا وحفدا على
هؤلاء الدخلاء الذين يتزعمون خير أقواتهم ، وأطيب أرزاقهم ،
وغزوم في مساكنهم ، حيث استأثر الإنجليزي بأحياء خاصة ، ثم
طلى منذ شهور سيظهر الجسور ، وتدفقوا في منطقة القتال
زراقات زراقات ، حتى ضاقت بهم مناطقهم العسكرية في منطقة
القناة ، كما ضاقت بهم مدينتهم الكبيرة الجليلة المنسقة ، التي
بنها لهم القيادة العامة على أحدث طراز إنجليزي ، حتى لتقشبه

مساكين أبناء مدن القناة الثلاث - بور سعيد والإسماعيلية
والسويس - وبخاصة أبناء مدينة الإسماعيلية . . التي كتب الله
على أبنائها أن يتجرعوا النقص الحجة حادة ، ذلك لأنهم يرون
دأما وجوه أعدائهم الألداء ، هذه الوجوه الكالحة ، التي سُم
كل مصري النظر إليها ، وضقت بها وبأبنائها ذرعا ، وكدنا
نيأس حكومة وشعبا من مرفقة طريق الخلاص والقضاء على
هؤلاء الاستعماريين (الكلاب) - كما يدعوهم آية الله كاشاني -
وأدركنا إلى أي حد يجحد هؤلاء الناصبون حقوقنا ، ويمبتون
بمصلحتنا وآماننا ، ويسخرون بأماننا الوطنية التي يجب أن نبذل
في سبيل تحقيقها ، والحصول عليها ، كل من نحنس وقال ، فأينا
مرت في هذه المدينة البائسة لا تجد غير هؤلاء الإنجليزي ، يروحون
ويجيئون في كل وقت من الأوقات ليلا ونهارا ، يتكلمون هنا
وهناك في برود وصفاقة ، وكأنهم يسيرون في أوطانهم ، ويجربون
رحابها آمنين مطمئنين ، هادئين وادعين . كأنه ليس بيننا وبينهم
عداء مستحكم الخلفات ، ولا قضية مطروحة في المحافل الدولية
إلى الآن ؟ ولست أدري لماذا يأمن الإنجليزي جانب المصريين إلى
هذا الحد المجيب ، فإمام يعيشون في أحيائهم الأفرنجية بالمدينة ،
ويشاركون المصريين في الأحياء الوطنية ، ويسيرون بين المصريين
كأنهم من أبناء جلدتهم ؟ فهل معنى ذلك أنهم يستمدون أنسا
هازلون في مطالبنا ، غير جادين في قضيتنا وجهادنا ؟

إن منظر الجندي الإنجليزي يسير في مدينة الإسماعيلية بالقدات
يؤلى إلى حد كبير ، كما يؤلم كل وطني غيور ، لأنه يحمل معنى
التحدى الجارح لكرامة المصري ، رشموره وعزته ، فهو يسير
مترفضا متعاليا ، في صلف وكبرياء ، مقبلة لمينة ، شأنه في ذلك
شأن العملاق المتخترس الذي ينظر في ازدراء وضيع إلى أقزام

كتبت هذه المقالة قبل إنشاء الجامعة وولوع الأحداث الأخيرة

السكينة ، حتى أن من المدهش أن يجد المسافر مكانا في فندق
يبقى فيه ليلة أو بضع ليال .. ١١

أجل ليس من الغريب أن ترى هذه المناظر . ولكن كلمة
الحزن التي يجب أن نلاحظها في هذا المكان ، هي أن النظافة
نشيء في كل مكان يقطن فيه هؤلاء ، كما يسهو النظام والهدوء ،
حتى في تلك الأماكن المتناثرة في أنحاء الأحياء الوطنية ، بحيث
يخيل إلى أن المصريين لو انتقلوا جميعا إلى الأحياء الأجنبية
النظيفة ، وانتقل الأجانب إلى الأحياء الوطنية الفقيرة ، لامت
القوى بسد أيام في الأحياء الأولى ، ولساد النظام والنظافة
والهدوء والسكينة في الأحياء الأخرى . ١

ومهما يكن من شيء فإن كل إسماعيلي يشعر من أعماق نفسه
بكرهية عجيبة لهؤلاء الناصيين . ويرى فيهم العدو اللدود لبلاده ،
سواء في ذلك الذين يستفيدون من الإنجليز بالعمل في معسكراتهم ،
أو الذين يتعاملون معهم بغير ذلك من أنواع المعاملات . وهي
كثيرة في الإسماعيلية ، حيث يوردون لهم الألبوم والمخضر
والفاكهة والألبان وغير ذلك ، وبينهم لهم المساكن ويشيدون
المنازل الضخمة الكبيرة ، التي تضارع في ضخامتها وعظمتها
عمائر القاهرة . .

وإن الأمل لكبير في أن تسيطر الوطنية المصرية على هؤلاء
الإسماعيليين الذين تربطهم بالإنجليز صلات المادة ، وتغلب عليهم
روح التضحية الخالصة ، فيلبى كل منهم نداء الواجب المقدس ،
ويقسم ما بينه وبين هؤلاء من عرى وثيقة وصلات قوية ، مهما
بلغت أرباحه المادية

ولكن الخلل يتطلب عليه ناحية التشاؤم حينما يتصل من
قريب هؤلاء الذين يتعاملون مع الإنجليز من غير أبناء الإسماعيلية
الخلص ، وأغنى بهم أولئك الذين تزحوا من الصيد لا يملكون
شيئا ، فأصبحوا بعد أعوام قلائل أثرياء أغنياء ، لا تعرف كيف
وصل إليهم المال ، وأي الطرق سلكوا حتى أصبحوا بشار إليهم
بالبنان في كل مكان . . أغنى بهم هؤلاء الذين تنص بهم المربيات
الخاصة (البولان) في قطر السكة الحديدية ، وتضيق الشوارع

البيوت إلى حد كبير ، والتي تقع في الجنوب الغربي من الإسماعيلية .
أجل ضاقت بهم هذه الأماكن كلها فزحوا إلى الأحياء الوطنية ،
وزحفوا عليها زحف العقارب السائلة ، والوحوش الضارية ،
وسكنوا في عمارها الجديدة النظيفة ، كما زح إلى هذه الأحياء
كثير من الأجانب من اليونانيين والأرمن ، وغير هؤلاء بقصد
الريح والسكينة ، تاركين مساكنهم في الحى الأجنبي الإنجليزي
نظير مباني كبيرة من المال ، إما بصفة (خلو رجل) أو عن طريق
الايجار من الباطن ، فترك الواحد منهم مكانه النظيف الذي
يسكن فيه نظير إيجار شهري قديم لا يزيد عن خمسة جنيهات
لشقة متوسطة ، مكونة من ثلاث حجرات مثلا ، بعد أن يؤجرها
للجنود الإنجليز نظير ثلاثين حنينا على الأقل بواقع عشرة جنيهات
لشرفة الواحدة ، ويؤجر هو في الحى العربى شقة تماثلها بمشرفة
جنيهات . فيكون ربحه من هذا خمسة عشر جنيها ، دون أن
يبدل في ذلك أى جهد ، أو تسعى له قدم .. ١١

على هذا المنوال تسير الحياة في الإسماعيلية فتعكس على
الدوام مساكن المصريين الوطنيين ، وتنمو مساكن الإنجليز
باستمرار ، حتى في هذه الأيام التي ارتفعت فيها المصاغة الوطنية ،
والتي استمدت فيها النفوس للثورة القومية ، والجهاد النبيل ، والتي
كاد يحمده زعمائنا بشغفهم بالوعود البريطانية الخلابية ، فلا
يزالون يشقون بهؤلاء الخونة الأذنان ، وكأنهم لا يزالون يجهلون
مع طول التجارب المرة السابقة ١١..

وليس من الغريب أن ترى أسرة إنجليزية صغيرة تعيش
في دكان صغير ليس فيه دورة مياه ، ولم يعد ليكون مكانا
لشخص أو عدة أشخاص . . إى والله لقد رأيت هذا المنظر
الغريب العجيب في حى جميل من أحياء الإسماعيلية . . وليس من
الغريب كذلك أن ترى الأسر الكثيرة تسكن بيوتا من الطين
لا تختلف في قليل أو كثير من بقية بيوت الفلاحين المصريين
التي حولها . . وليس بعجيب أن تحتل الفنادق الأفريقية في
المدينة كلها بمئات الجنود الإنجليز ، شميس العائلة في حجرة
صغيرة أعدت في الأصل ليكون بها شخص واحد أو شخصان ،
كما أن بعض الفنادق المصرية قد اكتظ بهذا النوع من الوجوه

منمة هزت كيائها ، وزلزلت بنيانها ، وحطمت أعصابها ، وأكرهتها على الخضوع لرغبات الإيرانيين الأبطال . . . ففى نفهم هذه الحقائق ونعلم أن تحقيق الأمل ، ونيل الأمان ، هو بالكفاح والنضال ، ونذكر أنه لا قيمة لما يتجهجه الزعماء الآن من أقوال مجالعة ، وتصريحات جريئة ، وخطب رنانة طنانة ، وهتافات مدوية ، ونصف حاد . . . ففى أدركنا ذلك أمكننا أن نقضى على هؤلاء الناصيين ، وأن نتخلص من شرهم ، وأن نتحقق من منطقة القناة هذه الوجوه السكالحة ، كما اختفت من قبل من القاهرة والإسكندرية

عبر الحفيظ أبو السعود

وزارة الزراعة

مصلحة وقاية المزروعات

تقبل المطامات بمكتب صاحب العزة

مدير عام المصلحة بالدق لغاية الساعة

١٢ ظهرا

عن توريد

١ - أدوات منزلية يوم ١٧ / ١٢

١٩٥١

٢ - حبال وخيط شحوط يوم ٢٢

١٢ / ١٩٥١

ويمكن الحصول على الشروط مقابل

دفع مبلغ ٢٠٠ مليم بخلاف

٥٠ مليم أجرة البريد لكل منها

وتقدم الطلبات على ورقة نمرة من

نمرة الثلاثين مليما ٩٩٣٥

فى مدينة الإسكندرية بسياراتهم الفارهة التى لا تكاد تسمع لها صوتا حينما تسير . . . هؤلاء الذين يرتدون فى الغالب الجلباب البلدى المصنوع من الصوف الجليل ، و (المفاية) الور الناعمة ، الغالية الثمن ، عليها (شال) ناصع البياض ، وتشكون منها عمامة لا أثر للذوق فيها . . . ولا تصيب لوقار منها . . . ويلفت نظرك خواتم كبيرة ذهبية فى أصابع اليدين ، منها الكبير والصغير ، والفصوص الحمر والزرق ، وتضجب لها بين ذلك كله من تنافر ، مع ارتفاع قيمتها ، وغلو ثمنها ، ولكنه المال المزيف الذى يتدفق على هؤلاء من خزائن الإنجليز فيملأ منهم الجيوب ، ويحرب الضمائر ، ويفرغ القبول . ١

إن قطع علاقاتنا بالإنجليز يوم أن يتم إلغاء المعاهدة اختبار للبطولة الوطنية ، وامتحان للقومية المصرية ، ويوم ذلك تبارك مصر كل من يفهم كنه هذا القرار ، ويدرك حقيقة ذلك الاتجاه ، وينفض يده من ذلك الوفاء المالحق ، والشر المبير ، ويحاول سحق هذه القوة الناشطة ، والقدرة المائلة الطاقية ، التى نعدها نحن بمقومات حياتها . . . وتبارك هذا النوع من أبتائها ، وتامن كل من أعرض عن نداء الواجب . ولم يصح لصوت الضمير ، ونداء الوطنية المادل . .

وإن فى إمكاننا وحدنا أن نقطع شرايين الإنجليز ونحبسهم فى حيز ضيق لا يستطيعون منه فككا ، ونكرهم على القرار من وادى النيل كله ، وذلك حين تقطع ما بيننا وبينهم من صلات وعلاقات ، فلا نظمهم ولا نسقيهم ولا تتعاون معهم ولا نصكهم ولا نشترى بضائعهم ، وننظر إليهم نظرة احتقار وازدراء ، ونعامل من يتعاون معهم معاملة الخائن لوطنه ، ونسحق عليهم الحصار حيث يتقفون . ١

ولقد علمتنا الحوادث أن الإنجليز لا يجدى معهم الأخذ والرد ، والجلد والنفاس ، والمباحثات والمعاهدات ، فذلك باب أقتنوه ، وبرعوا فى سياسة اللف والهوران ، وسياسة كسب الوقت . . . وإنما تنالهم القوة القاهرة ، ويخضعهم العزم الصارم ، ويذلهم التصميم الحازم ، ولقد عرفت إيران كيف تصفع الإنجليز